حوليات آداب عين شمس (أبحاث المؤتمر الدولي الرابع عشر)
(العلوم الإنسانية والإجتماعية ودورها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

الأبعاد الاجتماعية للتعاسة في الحب عند إيفا إيلوز: قراءة تحليلية

د. نسرين كمال*

باحثة علم اجتماع – مصر
nisreen.kamal80@gmail.com

المستخلص:

تأتي هذه الورقة العلمية ضمن محاولات الباحثة لتسليط الضوء على إحدى مجالات علم الاجتماع الجديد وهو سوسيولوجيا الحب. من خلال تقديم قراءة تحليلية متواضعة لرؤية " إيفا إيلوز " إحدى أهم المتخصصين في هذا المجال، والتي سعت لدراسة الحب المعاصر لتبيان أسباب التعاسة في الحب، والتي تختلف عن تعاسة الحب قديماً، منتهجة الأسلوب المقارن في تحليلاتها ما بين الحب ما قبل الحداثة وبعدها، حيث خلصت إلى أن المعاناة في العلاقات العاطفية قديماً كانت نتاج عقبات مجتمعية، وطبقية، وقيود ثقافية واقتصادية. في حين أن المجتمعات المعاصرة جاءت التعاسة في الحب بسبب ما يحدث من تحولات عميقة في الذات الحداثية من حيث إرادتها وتصوراتها الشخصية، وهو ما جعل المجال العاطفي للأفراد أكثر تقلباً وأكثر هشاشة؛ مما أفقدنا السعادة في الحب وصعوبة استدامته. ولما كان الإنسان هو محور كل عملية تنمية في أي مجتمع كونه الهدف والوسيلة لتلك العملية، كان من المحتم التركيز على أحد أهم الدعائم المعنوية التي تساعد الإنسان على اكتشاف ذاته وتطويرها. فالحب ذو قوة قادرة على إطلاق العنان لمختلف إمكانيات الإنسان الحقيقية، وإنتاج النسخة الأفضل منه، ومن ثم توجيه تلك القدرات والإمكانيات نحو تحقيق أهداف التنمية الإنسانية المستدامة، وعليه كان من الضروري الوقوف على أسباب معاناة الإنسان في الحب لتسليط الضوء عليها وطرحها للدراسة والتحليل سعياً لمعالجتها.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2025.

مقدمة:

يعيش الأفراد في الحياة حالة الحب بمختلف أنواعه وتجاربه، مسار وكثافة هذه التجارب لهما أهمية أساسية لبناء شخصية الفرد وتطورها. وعليه، يبحث الكثيرون عن تجربة الحب نظراً لأهميتها في العلاقات الإنسانية. وأيضاً لأنه أحد أقوى المشاعر وأكثرها متعة في الحياة،فالحب عاطفة إيجابية قوية بدونها تتوقف قدرات الأفراد البشرية عن النمو والإرتقاء(Ro'is& Wulandari, 2023: 136). فالجانب العاطفي يعد أحد أهم الركائز التي تقوم عليها الروابط الإنسانية، وتبرز أهميته كونه يمد الإنسان بالاستقرار النفسي والذهني، ويمنحه الإشباع الذي يجعله متزناً عاطفياً، فلا يبحث عنه في أي علاقة عابرة. علاوةً على أن الحب يساعد على استمرار العلاقات الإنسانية، فلا يمكن لرابطة إنسانية أن تصبح متينة وثابتة دون وجود ركائز عاطفية بين أطراف العلاقة تساعد على تقويتها واستمرارها، هذا ما أكدت عليه عدة دراسات منها (كعانبة 2022)، و(نجف 2021)، و(السالم 2023)، حيث جميعها أكد على أن وجود العاطفة بين الشركاء تكون أكثر تأثيراً في تحقيق الالتزام واستمرار العلاقة، كما أوضحت الدراسات وجود علاقة طردية بين معنى الحب وجودة الحياة لدى الأفراد، وهو ما أكدته ودراسة (Sternberg 1997)، و(Rinaldi 1998). وفي الاتجاه المعاكس المؤكد لنفس الفرضية كانت دراسة (الترك 2014)، و(البدري 2022)، والتي أكدتا على أن غياب الجانب العاطفي من أي علاقة يلعب الدور الأبرز في إنهاءها.

الحب موضوع محوري في حياة البشر جميعا، فكان – الحب– للعديد من العلماء باختلاف تخصصاتهم محور اهتمام وتناول وتحليل، فوصف الأدباء والشعراء الحب على نطاق واسع، وصُوِّر بكثافة في الفنون التصويرية، وغنى عنه في الموسيقى، حتى الفلسفة ومنذ بدايتها كرست صفحات عميقة ومبدعة عن الحب، فكانت للتأملات الأدبية، واللاهوتية، والتجارب النفسية حول الحب النصيب الأكبر في دراسة الحب وتحليله.

وبرغم من أهمية الحب في تشكيل العلاقات الإنسانية والمجتمع ككل، إلا أن الحب ليس موضوعاً رئيسياً في مجال علم الاجتماع الكلاسيكي. ولعل السبب في أن الحب لم يحتل مكانة مركزية في التراث الفكري الاجتماعي: كون أن الحب تجربة ذاتية تنتمي إلى المجال العاطفي وغالباً ما تكون تجربة شخصية خفية، كما أن الحب على المستوى المنهجي يصعُب رصده أو قياسه، ولطالما كان ينظر للحب على أنه ظاهرة نفسية وبالتالي كان يقع خارج نطاق علم الاجتماع.

وتبرز أهمية هذه الورقة العلمية كونهاتنتمي إلى أحد المنعطفات الجديدة في علم الاجتماع؛ ألا وهو " سوسيولوجيا الحب "، كون أن من الملاحظ توجه الباحثين في علم الاجتماع نحو مسارات دقيقة متكررة كعلم الاجتماع الاسري، والتنمية، والجريمة، وغيرها، مما أحدث وفرة في تلك الدراسات على حساب غيرها. فكما أوضحت الباحثة سابقاً مدى أهمية المشاعر والأحاسيس والعواطف في توجيه الفعل الاجتماعي، فأرتأت الباحثة ضرورة التوجه لمثل هذا النوع من الدراسات خاصة وان هذا المجال – وعلى حد علم الباحثة– بعد حصرها للأدبيات والدراسات ذات العلاقة، أنه من الدراسات التي لم يتطرق لها الباحثين بشكل واضح وصريح، خاصة في مجتمعاتنا العربية والتي يعد الخوض في مسائل الحب والمشاعر من الأبواب التي قلما يتم طرقها. ولذلك تعد الحاجة قائمة لإجراء دراسات يتم التركيز فيها على

الحب والجوانب العاطفية ودراستها من منظور اجتماعي للوقوف على طبيعة تلك العلاقات في ضوء رؤية علماء التخصص.

ويؤكد إريك فروم أن أي مشروع كالحب يبدأ بآمال وتوقعات هائلة ومع ذلك يفشل بشكل منتظم، ولو كانت هذه الحالة هي حالة أي نشاط فسيهتم الناس بمعرفة أسباب الفشل وتعلم كيف يستطيع الإنسان أن يكون أفضل، – ولما كان الكف عن هذا النشاط وهو الحب مستحيلاً لأنه محوري في حياة كل البشر–، فإنه يجب التغلب على فشل الحب من خلال الشروع في دراسة معنى الحب وأبعاده وأسباب فشله(فروم، 2000: 15).

وعليه، فسوف تحاول الباحثة التطرق لموضوع الأبعاد الاجتماعية للتعاسة في الحب من وجهة نظر إحدى أهم علماء السوسيولوجيا المتخصصين في دراسة الحب والعلاقات العاطفية في المجتمعات المعاصرة، وهي إيفا إيلوز، ولكن قبل ذلك سوف تستعرض الباحثة التناول العلمي للحب في التراث الفكري الاجتماعي، لتأصيل الموضوع بشكل علمي مختصر.

أولاً: الحب في التراث الفكري الاجتماعي:

ظل الحب حتى وقت ليس بالبعيد موضوعاً لم يؤخذ في الاعتبار بشكل كاف في التراث الاجتماعي. علاوة على ذلك، فإن مجموعة التأملات الاجتماعية المتباينة التي اجريت حول الطبيعة الاجتماعية للحب قد طواها النسيان إلى حد كبير في الإرث الفكري لهذا التخصص. حيث بالنظر إلى أهمية الحب التي لا تنكر في صياغة العلاقات الإنسانية وهيكلة الحياة الاجتماعية، أبدى علماء الاجتماع تردداً كبيراً في الخوض في المجال التحليلي للحب، فلم يتطرقوا إلى هذا الموضوع إلا بشكل طفيف وسطحي (Montana, 2023 & Rusu, 2018).

فبرغم من أهمية الحب في تشكيل العلاقات الإنسانية والمجتمع ككل، إلا أن الحب ليس موضوعاً رئيسياً في مجال علم الاجتماع الكلاسيكي. ولعل السبب في أن الحب لم يحتل مكانة مركزية في التراث الفكري الاجتماعي: كون أن الحب تجربة ذاتية تنتمي إلى المجال العاطفي وغالباً ما تكون تجربة شخصية خفية، كما أن الحب على المستوى المنهجي يصعُب رصده أو قياسه، ولطالما كان ينظر للحب على أنه ظاهرة نفسية وبالتالي كان يقع خارج نطاق علم الاجتماع.

وهذا ما دفع الباحثة نحو محاولة رصد للتأملات الفكرية في التراث الاجتماعي حول الحب– بإختصار– كون أن هذه الآراء كانت بمثابة مناقشات عرضية ولكنها ثاقبة حيث ركزت على العمل الاجتماعي للحب كما جاءت في كتابات أميل دوركايم، وماكس فيبر، بيتيريم سوروكين، وتالكوت بارسونز. ولكن لا يمكن اعتبار أياً منهم منظراً أصيلاً للحب، فالحب لم يكن من بين اهتماماتهم النظرية الرئيسية إلا أن ما قدموه كان مقدمة منطقية لفهم اجتماعي للحب

وبداية من**أميلدوركايم**الذي تطرق للحب بشكل جانبي في كتاباته، وتركزت تأملاته حول الحب إلى حداً كبير في دراسة واحدة حول سفاح القربى. حيث يرى دوركايم أن حب الأسرة يندرج تحت مسمى الواجب، لأنه في المقام الأول تعبير عن الأخلاق الاجتماعية، فالحب بين أفراد الأسرة واجب أخلاقي فهو ضرورة عائلية، وفي غيابه تنهار مؤسسة الأسرة. أما الحب العاطفي بين شخصين هو حب حر، يرتبطان ببعضهما لأنهما معجبان ببعض، بينما يُجبر الأخوة والأخوات على الإعجاب ببعضهم لأنهم مرتبطون داخل الأسرة(Rusu, 2018: 5).

صادف **ماكس فيبر** الحب من خلال أعماله حول علم الاجتماع التاريخي للدين، ولكنه لم يبرز الحب عنده كإشكالية محورية في اهتماماته الفكرية. حيث يضع فيبر نظرية الحب في سياق روايته التاريخية لعملية العقلنة التي تحول المجتمع الحديث إلى قفص حديدي من النظام البيروقراطي البارد غير الشخصي، وفي ظل هذه الخلفية المُتشائمة يرى فيبر الحب الإيروتيكي كقوة ضاربة غير عقلانية لعقلنة المجتمع، والتي يمكن أن توفر مهرباً حسياً من العالم الاجتماعي الروتيني. أي أن الحب الإيروتيكي يُقدس ويُرفع إلى مرتبة دين حسي، حيث يصبح الحب وسيلة للهرب وشكلاً من أشكال الخلاص من سجن العلاقات التي تُشكل العالم الاجتماعي الصارم، الذي تحكمه العقل الآلي. وحسب فيبر فالشخص الذي يتخلى عن نفسه لصالح الحب يكون قد تحرر من براثن الأيدي الجبارة والصارمة للأنظمة العقلانية، تماماً كما تحرر من روتين الحياه اليومية.

أطلق **بيتيريم سوروكين** برنامجاً طموحاً لدراسة الحب كقوة نشطة لديها القدرة التحويلية على إعادة تشكيل الشخصية البشرية والمجتمع على حداً سواء، وذلك بعد ما عُين كمسؤول لمركز هارفارد في الإيثار الإبداعي 1959-1949. فيرى سوروكين أنه من خلال الحب تكون قدرة الناس الإيثارية على تجاوز الذات واحتضان الاختلاف برعاية واهتمام، ولقد دفعته نظرته الصوفية الدينية للحب إلى تهميش العمل المهني والأكاديمي مما جعله منبوذاً نوعاً ما في المجتمع الأكاديمي. ولقد حدد موقفه من الحب بأن الحب قوة طاقة تتمتع بإمكانيات خلاصية منقذة، واعداً بخلاص العالم الاجتماعي الحاضر، ويشيد سوروكين بفضائل الحب غير الأناني في كتابه " الحب الإيثاري" فيقول: الحب حرفياً قوة تمنح الحياة، ويلغي الوحدة، فهو أفضل ترياق للميول المرضية الانتحارية. تجربة الحب هي إدراك حقيقي يجمل كل شئ يلمسه الإنسان، الحب هو الخير نفسه، هو الحرية في أسمى صورها، الحب لا يعرف الخوف هو العلاج من أي خوف، هو القوة الأكثر إبداعاً، فالحب هو الوسيلة المتاحة والفعالة لتحقيق السعادة العليا، أنه أفضل علاج ضد الكراهية والجنون والبؤس والموت والدمار، الحب هو الوسيلة الوحيدة لتجاوز الحدود الضيقة لأنانيتنا الصغيرة وجعل ذواتنا الحقيقية متوازنة سوية. وفي ظل اللامبالاة من قِبل زملاء سوروكين بقوة الحب التحويلية؛ يحذر الأخير بأنه إذا لم تستغل طاقة الحب الكامنة في الرجال والنساء فستواجه البشرية كارثة حقيقية، فيقول (1948): من أجل بقاء الإنسان ذاته يجب على الحكومات والمؤسسات والجامعات والجهات المانحة للبحث العلمي، بل حتى العلم نفسه تحويل الجزء الأكبر من موارده وانشطته إلى هذا المجال لإنقاذ البشرية من أزمتها المدمرة للذات". وعلى المستوى الجزئي: سعى سوروكين إلى تأكيد دور المحبة بين الافراد والجامعات أي تحويل شخصية الناس من خلال قوة الحب. أما على المستوى الكلي: لتخليص المجتمع من شروره وكراهيته وصراعاته وحروبه، والعنف وعدم المساواة، وانعدام العدالة؛ تخيل سوروكين اقتصاداً سياسياً للحب قائماً على إيجاد واختراع سبل إنتاج وتراكم وتداول طاقة الحب في الكون البشري. ورأى أنه يجب على المجتمعات اتخاذ خطوات فعالة نحو اكتساب السيطرة على احتياطاتها غير المستغلة من الحب لانتاج وتراكم وتوزيع الحب الذي سينقذهم من أزمتهم الوجودية العميقة التي يواجهونها.(Rusu, 2018: 10- 11).

فسوروكين كانت لديه قناعة واضحة بأن الأزمة الوجودية للعالم الحسي الحديث لا يمكن التغلب عليها إلا من خلال الحب، ويحذر من أن استمرار تجاهل الناس لمخزون طاقة الحب التي لا تزال مجهوله في وعيهم الاجتماعي والحاضر، سيؤدي إلى كارثة على البشرية.

لم يتطرق **تالكوت بارسونز** إلى إشكالية الحب إلا في تحليله الوظيفيلنظام القرابة الأمريكي والأسرة النووية، فيوضح أن ظهور الأسرة النووية في العصر الحديث كوحدة مرنة تتلاءم مع نظام الإنتاج الصناعيمن خلال عزلتها الهيكلية عن شبكة القرابة.

وينطلق بارسونز في فرضيته بأن المجتمعات التقليدية ما قبل الصناعية كانت القرابة هي التي تهيمن على البنية الاجتماعية، وكانت القرابة هي من تلبي جميع الاحتياجات الأساسية لأعضاءها وللمجتمع ككل، ولكن مع ظهور الحداثة وظهور مؤسست أخرى باتت تقوم بالدور الوظيفي للقرابة مما دفع إلى تحول مؤسسة القرابة الكلية إلى مؤسسة متخصصة وهي الأسرة النووية الصغيرة، لما يتطلب وجود نوع جديد من الوحدة الأسرية كضرورة وظيفية تخدم القطاع الصناعي الحديث لتتلاءم مع البيئة الإنتاجية الجديدة. تتضمن فرضية بارسونز حول العزلة البنيوية للأسرة النووية عن شبكة القرابة نتيجة وظيفة مهمة تتعلق بالدور التكاملي للحب. فبعد التحرر من قيود القرابة بات الزوجان يشكلان أسرة نووية ويستقران في سكن جديد، وأصبحا يحتاجان إلى نوع آخر من القوة الرابطة بينهما للحفاظ على تماسكهما، وهنا يأتي المعادل الوظيفي لضغوط القرابة وهو(الحب الرومانسي) الذي يعوض التأثير الملزم الذي يمارسه أفراد الأسرة الممتدة من الخارج بقوة عاطفية تضرب من الداخل (Sjoberg, 1960: 139–140).

وما يمكن استخلاصه عن فرضية بارسونز هو أن الحب الرومانسي يؤدي سلسة من الوظائف للحفاظ على النظام الاجتماعي الحديث، منها وظيفة الحب بعد الوزاج وتتمثل في اندماج الزوجين خاصة في ظل غياب القيود التي كانت تفرضها نظام القرابة. أما عن وظيفة الحب قبل الزواج في المجتمعات الحديثة تتمثل في أن الوقوع في الحب يعد معادلاً وظيفياً للترتيبات الزوجية التي كانت تقوم بها نظام القرابة، إذ يعمل الحب نفسه كأداة غير رسمية للتوفيق بين الطرفين. ويؤكد Rusu 2018 أن بارسونز اختلف عن استاذه في علم الاجتماع ماكس فيبر الذي رأى في المغامرات الرومانسية وسيلة للخلاص الداخلي، وخاصة الزنا فاعتبره ديناً جنسياً محتملاً للخلاص الجسدي من عالم الزواج الروتيني. بينما بارسونز يرى في الحب خارج إطار الزواج خطراً على النظام الاجتماعي الذي ترسخه مؤسسة الزواج.

وحسب ما تم عرضه فإن موضوع الحب في التراث الفكري الاجتماعي لم يكن أكثر من مجرد مناقشات وتداولات فكرية هامشية تناولها علماء الاجتماع إلى جانب مفاهيمهم وأطروحاطهم النظرية الرئيسية، فكان هناك تردد واضح لديهم للخوض في المجال التحليلي للحب، لأسباب سبق وقد ذكرتها الباحثة. أنظر صفحة 2

ولقد شهدت السوسيولوجيا تطوراً ملحوظاً واستثنائياً منذ سبعينات القرن الماضي في دراستها للعديد من الموضوعات منها موضوع الحب والعواطف، على الرغم من أن هناك بعضاً من علماء الاجتماع الذين كانوا لا يؤمنون بالإدراك الحسي للحب، الشيء الذي جعلهم ينكرون دور الحب والعاطفة في الحياة اليومية، حيث كان موضوع الحب

يعتبر من الظواهر المعزولة، ويدخل في كثير من الأحيان ضمن حقول معرفية أخرى كالفلسفة وعلم النفس. إلى أن جاءت اسهامات **جوفمان** في السبعينات حول التفاعلية الرمزية حينما حاول صياغة الموقف الحياتي وفق منظور المسرح والذي يلعب فيه الفاعلون أدواراً تمثيلية يحاولون من خلالها إقناع الآخرين بها انطلاقاً من الجسد والعواطف مركزاً على مشاعر الخجل والارتباك. حين كانت مساهمة **آرلي رسل هوشيلد** في سوسيولوجيا الحب أكثر عمقاً، وبدأت من التسعينات بالتركيز على الربط بين العواطف والتفاعل الاجتماعي، أي أن الفعل الاجتماعي في سياقه التفاعلي يكون مرتبطاً بالمشاعر والأحاسيس والعواطف، كما انها أكدت على أن العواطف ليست فقط ذات دوافع عضوية وإنما مردها أبعاداً اجتماعية، والتفاعل بين الافراد هو الذي ينشئ العواطف، ويحرك المشاعر صوب الفعل الاجتماعي، فركزت بشكل كبير على فكرة العمل العاطفي(فرح، 2019: 23).

وتزايد الأهتمام بدراسة الحب كظاهرة اجتماعية بفضل اسهامات بعض علماء الاجتماع أمثال **نيكولاس لومان** في دراسته للحب كعاطفة، **وأورليش بيك وإليزابيث بيك** في كتابهما " الحب عن بعد "، **وانتوني جيدنز** في دراسته للعلاقات الحميمة، بالإضافة لإسهامات **زيجمونت باومان** الذي قدم رؤيته عن " الحب السائل"، ومن أهم الإسهامات في دراسة الحب كظاهرة محددة للفعل الاجتماعي كانت إسهامات **إيفا إيلوز**والتي ركزت وبشكل كبير على دراسة الحب والعلاقات العاطفية في المجتمعات المعاصرة، وقدمت سلسة من الإسهامات المرتبطة بالحب وأبعاده الاجتماعية، وحجتها المركزية دوماً أن التنظيم الاجتماعي للحب الرومانسي قد تغير تغيراً عميقاً، وأن الطريقة التي نعيشها اليوم في علاقاتنا العاطفية باتت مختلفة تماماً، وفي كثير من الأحيان تؤدي بالإنسان إلى المعاناة والألم، وهذا ما سوف تعرضه الباحثة بشكل مفصل في الصفحات القادمة لرؤية إيلوز عن التعاسة في الحب.

ثانياً: التعاسة في الحب برؤية إيفا إيلوز

" لكن النعيم في الحب نادراً ما يتحقق، إذ أمام كل تجربة حب ناجح في عصرنا توجد عشر تجارب للحب المدمر، وانحدار ما بعد الحب لمدة أطول بكثير، وهو غالباً ما يؤدي على تدمير الفرد".

تفتتح إيلوز كتابها " لماذا يجرح الحب " بهذا الاقتباس، والذي حاولت من خلاله توضيح منابع التعاسة العاطفية وروابط الحب بين الجنسين في العصر الحاضر بالدراسة والتحليل، وذلك من خلال التركيز على السياق الاجتماعي بدلاً من السياق النفسي. وستحاول الباحثة عرض أهم أفكارها باختصار كمحاولة للوقوف على تحليل العلاقات العاطفية بين الشريكين في العصر الراهن.

اعتمدت إيفا إيلوز في تحليلاتها عن التعاسة في الحب على تحليل عدد من النصوص الأدبية والروايات والسير الذاتية بغرض فهم ملامح الواقع المؤدي إلى آلام الحب. وترى أن التعاسة في الحب قديماً مانت تنتج عن التفاوتات المجتمعية مثل اختلاف الطبقة، والدين، والمذهب، والمكانة الاقتصادية والاجتماعية، والتي كانت تقف أمام ارتباط المحبين. في حين أن المجتمع المعاصر _ وتقصد هنا المجتمعات الغربية_ تجاوزت تلك القيود، وترى أن التنظيم الاجتماعي للألم الرومانسي قد تغير تغيراً عميقاً (إيلوز، 2020: 16).

نقد التفسير النفسي للتعاسة في الحب:

تنتقد إيلوز المدخل النفسي المفسر لتعاسة العلاقات العاطفية، وترى أن التحليل والعلاج النفسي _ بقصد او بدون قصد_ قد قدم ترسانة هائلة من التقنيات وضعت على كاهلنا بإصرار وحتمية، مسؤولية جميع مآسينا العاطفية. وتؤكد أن إخفاقات حياتنا الخاصة ليست نتاج ضعف نفسي، وإنما تقلبات حياتنا العاطفية ومآسيها تتشكل وفق ترتيبات مؤسسية؛ فالمشكلة في العلاقات الإنسانية المعاصرة لا يكمن في طفولة مختلة، أو نقص في الوعي الذاتي للنفس؛ وإنما مرده إلى مجموعة إلى مجموعة من التوترات الاجتماعية والثقافية، والتناقضات التي اجتاحت هيكلة الأنفس والهويات الحديثة (إيلوز، 2020: 18).فالإخفاق فالحب والعلاقات العاطفية يكون نتيجة توترات اجتماعية وليس فقط نتيجة عوامل نفسية مختلة.

الحب الحداثي:

الحداثة هي المرحلة التي تبلورت فيها العلمنة، والعقلنة، وشاعت فيها الديمقراطية، وأنماط الفردانية، وتسيد العلم. وتؤكد إيلوز أن دراسة الحب مركزية وليست هامشية بالنسبة لدراسة الحداثة وأساسها، ولقد شهدت المجتمعات الحداثية الغربية تطرفاً في الحرية والمساواة داخل الروابط العاطفية، وانقساماً جذرياً بين الحياة الجنسية والعاطفية. وتؤكد إيلوز أن الحب لعب دوراً كبيراً في تشكيل ما يسميه المؤرخون: الفردانية الوجدانية، ففي الحداثة تميل قصة الحب لمنح الحب دوراً بطولياً بالانتقال من العبودية إلى الحرية، فعندما ينتصر الحب يختفي زواج الفائدة والمصلحة وتنتصر الفردانية والاستقلالية، فالحب الرومانسي تحدى كلاً من النظام الأبوي والأسرة (إيلوز، 2020: 32).

تأثرت العلاقات العاطفية بين الجنسين بثورتين هامتين في القرن العشرين: ثورة الفردانية في أنماط المعيشة، وانتشار النماذج الاقتصادية (الرأسمالية) لتشكيل الذات، وصوغ المشاعر؛ فنشأ نموذج جديد من العلاقات أطلق عليه أنتوني جيدنز "العلاقة النقية"،وهي علاقة تفترض نشوء تعاقد يقوم بين فردين بحقوق متساوية، لأجل مقاصد عاطفية وفردية، فهو تعاقد مؤسس لأغراض ذاتية، يمكن الدخول فيه والخروج منه بإرادة حرة. وقُدم هذا النموذج الجديد باعتباره انتصاراً للحب، والفردانية، والحرية، والاستقلالية وهزيمة للنظام الأبوي ومؤسسة الأسرة القديمة. وبالرغم من توافق إيلوز مع هذا النموذج إلا انها ترى أنه جعل المجال الخاص للأفراد أكثر تقلباً، وأفقد الحب السعادة المنشودة. وترى أن العلاقات العاطفية في ظل التحول الحداثي، تسببت في إنقاص المصادر الأخلاقية والقيود الاجتماعية، التي تصوغ شكل الانشطة الفردية في البيئة الاجتماعية؛ ومن ثم فقد عرت الحداثة بنية الأفراد أمام تركيباتهم النفسية الذاتية، مما يجل النفس هشة، منشغلة دوماً بالأقدار الاجتماعية (إيلوز، 2020: 32-36).

سعت إيلوز من خلال مؤلفها دراسة تجربة الحب المعاصر لتبيان **أسباب التعاسة في الحب**، والتي تختلف عن تعاسة الحب قديماً، منتهجة الاسلوب المقارن في تحليلاتها ما بين الحب ما قبل الحداثة وبعدها. ولقد أجريت العديد من اللقاءات والحوارات، وبالعودة للعديد من المؤلفات الأدبية، لتخلص إلى أن المعاناة في العلاقات العاطفية قديماً كانت نتاج عقبات مجتمعية، وطبقية، وقيود ثقافية، وأخرى اقتصادية، في حين أن المجتمعات المعاصرة قد تجاوزت تلك القيود

خاصة في المجمعات الغربية، بينما معاناة الحب في المجتمعات المعاصرة جاءت بسبب ما يحدث من تحولات عميقة في " الذات الحداثية " من حيث إرادتها، ورغبتها، وتصوراتها الشخصية. وهو ما جعل المجال العاطفي والخاص للأفراد أكثر تقلباً، مما افقدنا السعادة فالحب، وجعل العلاقات العاطفية أكثر هشاشة. ولذلك حاولت إيلوز التركيز على منابع التعاسة فالحب، والتي عرضتها من خلال كتابها، وهو ما سوف تحاول الباحثة عرضه باختصار، ويمكن توضيحها في الشكل الآتي:

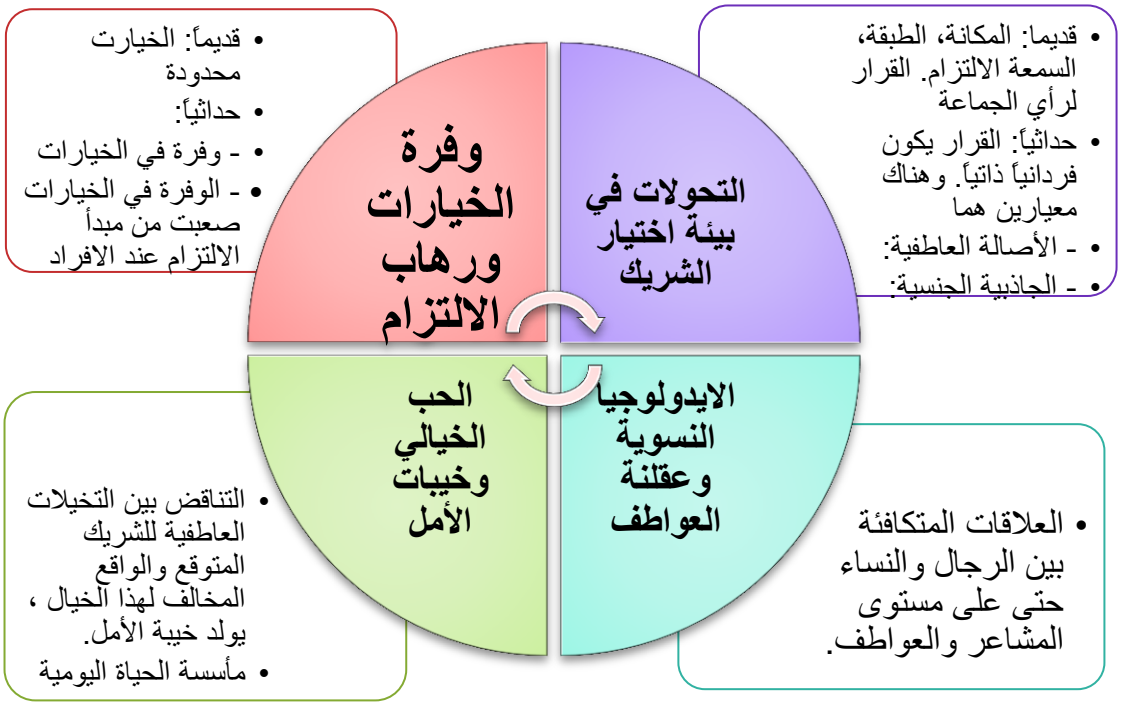

منابع التعاسة في الحب حسب رؤية إيلوز

أ- التحولات في بيئة اختيار الشريك:

تأتي التحولات التي طرأت في بيئة اختيار الشريك عند إيلوز في مقدمة الاسباب التي أدت إلى التعاسات العاطفية المعاصرة. وتؤكد أن اختيار شريك الحياة في مجتمعات ما قبل الحداثة، يخضع لضوابط اجتماعية وثقافية، ويمارس ضمن معايير محددة، وهذه الضوابط بمثابة القيود التي تكبح وتنظم سيطرة الذوق الشخصية للأفراد. فالعلاقات العاطفية بين الجنسين قديماً كانت تتحرك داخل نسق عائلي واجتماعي واضح، والمرأة كانت تتخذ القرار بالقبول أو الرفض للزوج المحتمل بناءً على الرأي الجماعي للعائلة وكذلك الرجل، أي يكون انعكاساً لشبكتهم الاجتماعية، فذوات المحبين – الرجل والمرأة– احتويت وحميت بالحضور الكثيف للآخرين، الذين يتصرفون كحكام ومنفذين للمعايير الأخلاقية والاجتماعية (إيلوز، 2020: 59).

أشارت إيلوز إلى **المصلحة بإعتبارها عاطفة** وتؤكد على: أن تلك الأزمنة – أي ما قبل الحداثة– كان البدء بتلميحات الرغبة بالزواج ومحاولات الغزل تؤخذ على محمل الجد؛ لأن الزواج حينها يعد أهم عملية اقتصادية في حياة كثير من الناس، لكون ممتلكات الزوجة تتحول إلى زوجها بعد الزواج وترتب على ذلك ثلاث آثار مهمة وهي: (1) أنه

بغض النظر عن مشاعر الفرد فالمصلحة الاجتماعية والاقتصادية تساهم بقوة في تنظيم بيئة الاختيار. (2) أن عرض الزواج يرفض أو يقبل غالباً بناءً على المكانة الاجتماعية والثروة. (3) أن أساليب تقييم الخاطب تعتمد على المركز الموضوعي للشريك المحتمل ولطبقته المنتسب لها. ونبهت إيلوز على المهر كونه آليه يتحدد من خلالها قيمة المرأة في سوق الزواج، وحجمه هو مؤشر لمنزلة العروس الاجتماعية والاقتصادية(إيلوز، 2020: 66-69).

ذهبت إيلوز إلى **السمعة والحفاظ على الوعود** كأداة مركزية تدعم النظام الأخلاقي والاجتماعي المتعلق باختيار الشريك بزمن ما قبل الحداثة، وكانت القدرة على الوفاء بالوعود عنصراً مركزياً في هذه السمعة. والوعود تربط مصلحة الفرد الذاتية بمصلحة فرد آخر، فالحفاظ على الوعد اشتغل كآلية جعلت الناس يستقرون لأول خيار " جيد بما فيه الكفاية "، وتعتبر مخالفة الوعود خرقاً خطيراً لسمعة الفرد وشرفه سواء كان رجلاً أو امرأة (إيلوز، 2020: 70-71). أما عن **الالتزام** فتقول إيلوز: أن الالتزام فيما قبل الحداثة كان يشكل بنية أخلاقية توجه العواطف قبل الزواج وأثناءه، وتجعل الجهات الفاعلة تحدد في داخلها مسألة ما يجب عليهم فعله، وبما يحافظ على سمعتهم. وهذا لا يعني أن الأفراد ليس لديهم دوافع باطنية أو عواطف ولكن تلك العواطف مبنية أخلاقياً وفقاً لما يجب فعله وما يجب أن يكونوا عليه (إيلوز، 2020: 75).

التحولات المؤسسية في بيئة الاختيار (ما بعد الحداثة):

طرحت إيلوز تساؤلاً عن ما الذي تغير وطرأ من تحولات مؤسسية في بيئة الاختيار، ولقد وصفت إيلوز هذه التحولات بالتحول العظيم – اقتبسته من أحد علماء الاقتصاد- وترى أن أبرز التغيرات كانت في ثلاث مسارات: التحولات الأخلاقية، والتحولات الاجتماعية، والتحولات التقنية. ويظهر ذلك في غياب القواعد والمعايير، وتنامي الفردانية في تحديد معايير اختيار الشريك، أي تحوله ليكون خياراً فردياً بعيداً عن النسيج الأخلاقي للمجموعة، وبالتالي قواعد الاختيار اصتبغت بالذاتية والتفضيلات الشخصية، كما رافقه تضاؤل التقاليد الطقسية للاقتران والالتزام بالعلاقة العاطفية طويلة المدى (إيلوز، 2020: 79-80).

ربطت إيلوز " ذاتية الأختيار" بظهور معيارين لتقويم الشريك ومدى انتشارهما، الأول: الحميمية العاطفية والاتساق النفسي (الأصالة العاطفية)، والثاني الطابع الجنسي في الاختيار.

- **المعيار الأول الأصالة العاطفية:** تعتمد العلاقات العاطفية في زمن الحداثة وبشكل كبير على ما أسمته إيلوز " الأصالة العاطفية "، وكانت تقصد به: نظام يجعل الناس يدققون في مشاعرهم ومشاعر الآخرين بهدف البت في أهمية الدلالة المستقبلية للعلاقة العاطفية ومدى شدتها، فيطرح الفرد عدة تساؤلات مثل هل أحبه فعلاً، أم مجرد شهوة؟ وإذا كنت أحبه هل حبي عميق شديد وحقيقي؟، هل هذا الحب سليم أم نرجسي؟ وغيرها من الأسئلة التي تنتمي إلى نظام الأصالة العاطفية. وفيه – نظام الأصالة- الالتزام لا يسبق، وإنما يتبع المشاعر التي تصبح الدافع البديل للالتزام، ويكون التحقق اليقيني من المشاعر لدى الذات الحديثة؛ إما من خلال قدر كبير من التدقيق الذاتي، كالتساؤل عن طبيعة

المشاعر وحقيقتها، وإما من خلال الكشف المربك الذي يقوض نفسه من شدته، كالحب من أول نظرة مثلاً (إيلوز، 2020: 63-64).

وتظهر المقارنة أن الاختيار الذي تنظمه الطقوس والممارسات التقليدية يعارض الاختيار الذي يقوم على نظام الأصالة، والاستبطان والانطولوجيا العاطفية، بحيث ينظر الأول إلى الالتزام على أنه إنجاز أدائي، نشأ بواسطة فعل الإرادة، وسلسة من الطقوس الاجتماعية. أما الثاني فهو نتيجة للاستبطان المؤسس على المشاعر الحقيقية النابعة من الذات (إيلوز، 2020: 182-183). ومن هنا وحسب ما ذهبت إليه إيلوز أن نظام الأصالة العاطفية بات سبباً للتعاسة في العلاقات العاطفية الحديثة، مما يعقد جدية العلاقة وتذبذبها، ويهدد استدامتها باستمرار، وهو ما يفسر صعوبة الالتزام في العلاقات المعاصرة والوفاء بالوعود طويلة المدى. وترى إيلوز أن هذا التعمق في التأكد من المشاعر وتحقيق الذات العاطفية، هو ما يجعل الأفراد يتركون علاقاتهم العاطفية التي يعيشونها، ويتركوا زواجاً لا يحقق ذاتهم العاطفية بسهولة، ساعين إلى الاستكشاف الدائم عن المشاعر في ذواتهم.

- **المعيار الثاني الجاذبية الجنسية:** تشير إيلوز إلى الجاذبيةالجنسية باعتبارها معياراً فاصلاً في اختيار الشريك، وهذا يأتي ضمن التضخم الذي شهده المجال الجنسي في الثقافة الاستهلاكية المعاصرة، وبمساهمة واسعة من القطاعات الاقتصادية في ترويج الجمال الجنسي، وتأسيس ذات قائمة على الإثارة الجنسية، وهو ما تم ربطه بالمستحضرات التجميلية والإغواء الجنسي والاستهلاك بقوة في الدعاية والإعلان، وهذا التجنيس للنساء جعل من جسد المرأة جسماً يبحث عن الرضا الحسي والسرور والجنس، أي الجسد أصبح أداة لإثارة الشبق والجنسانية بل وإيقاظها والتعبير عنها بحرية. هذا تبعه تجنيس الرجل أيضاً وظهر ذلك في الرياضة واستغلالها في التخيلات الجنسية للرجال، وفي أثناء الترويج لها على أنها نموذج جنسي للفحولة، عزز نفس شعور الإغراء والانجذاب الجنسي (إيلوز، 2020: 84-86). وعليه أصبحت الجاذبية الجنسية في العلاقات العاطفية معياراً لتقويم الذات والآخرين، ونتج عن هذا التحول في معايير اختيار الشريك تدمير الأنماط التقليدية للاختيار.

ب- وفرة الخيارات ورهاب الالتزام:

أكدت إيلوز أن العلاقات العاطفية والجنسية الحداثية باتت غير مقيدة بأي جهاز مؤسساتي، فتقدمت الحرية الجنسية بمنحى مستقيم في أتجاه التحرر المتزايد من المحظورات القانونية والأخلاقية، بهدف جعلها خالية من المحرمات، وأصبحت العلاقات الحميمية قائمة على الممارسة الفردية الخالصة، والاختيار الحر، والاستقلالية، بدلاً من قيامها على الاحترام والشرف الجنسي، أو معايير الزواج من شريك واحد (إيلوز، 2020: 115). ولقد أدت التحولات في بيئة اختيار الشريك، وما رافقها من التغير الجوهري الذي طال المجال العام المعاصر بالحضور المختلط بين الجنسين في شتى المجالات، إلى الوفرة الهائلة للشركاء المحتملين، ما أنتج تغيرات على عملية الاستقرار على حب واحد. وبرغم كثرة الخيارات أمام الجنسين إلا أن الأفراد مطالبون بالمشاركة في جهد مستمر من الاستبطان لتحديد تفضيلاتهم، وتقويم

خياراتهم، والتأكد من مشاعرهم. وهذا يتطلب شكلاً عقلانياً من الفحص الذاتي حتى يستطيع الفرد أن يتخذ قرار الاقتران مع شخص ما، على أساس المعرفة العاطفية الذاتية (إيلوز، 2020: 170). وبالتالي في ظل وفرة الخيارات ونظام الأصالة العاطفية الذي سبق وأشرنا إليه، يظهر مأزق آخر للتعاسة في الحب، فوفرة الخيارات تستلزم عملية تقصي وتفحص للتحقق من المشاعر العاطفية تجاه الشريك، مما يعقد أتخاذ القرار، وكما تؤكد إيلوز أن صعوبة الاستقرار على شريك واحد ترجع إلى وفرة الخيارات.

ذهبت إيلوز إلى أن هذه الوفرة في الخيارات والإتاحة الواسعة للإمكانيات تضيق عند النساء، فدور المرأة الإنجابي يجعلها تنهي عملية البحث المتجدد عن شريك باكراً، بينما الرجال ليس لديهم حافز ثقافي أو اقتصادي واضح لإنهاء البحث عن علاقات جديدة. وهو ما يفسر ميل الرجال المعاصرين إلى عدم الالتزام بل أنه قد يصل لحد رهاب الالتزام خوفا من تحمل المسؤوليات، وبالتالي باتت حرية الاختيار والارتباط مع استقرار في علاقات واضحة يشكل معضلة لأنها تؤدي إلى العجز أو الهروب من ممارسة الاختيار، فوفرة الخيارات تعوق الالتزام في العلاقة (إيلوز، 2020: 158-159).

ت- الإيديولوجيا النسوية وعقلنة العواطف:

مما فاقم من عقلنة العواطف وتنظيم العلاقات العاطفية تسييس المجال الخاص، وذلك على يد حركات حقوقية مثل الحركة النسوية، والتي كرست قواعد المساواة والتوافق والمعاملة بالمثل- التعاقدية-؛ فقد غيرت الأفكار النسوية فهم العلاقات العاطفية وممارسة الحب. وحاولت إيلوز التزام الحياد في تحليلها برغم انتمائها وقناعاتها بتلك الأفكار لتحلل بشكل نقدي دور الأيديولوجيا النسوية في المعاناة الرومانسية المعاصرة، حيث أكدت على تأثير النسوية في زعزعة استقرار الأدوار والقواعد الجنسانية التقليدية من خلال النقد ورؤيتها المتساوية لحقوق وواجبات المرأة والرجل. ولأن النسوية مثلت العامل الثقافي الأبرز في تشكيل وتغيير العلاقات بين الرجل والمرأة. أوضحت إيلوز أنه بسبب الهوس المرضي بمفهوم السلطة أصبح الحب الرومانسي ينظر إليه نسوياً بأنه مجرد ممارسة ثقافية تعيد إنتاج انعدام المساواة بين الجنسين، بل يعد كأحد الآليات التي تجعل النساء يقبلن ويحببن خضوعهن للرجال(إيلوز، 2020: 201-302).

وترى إيلوز – حسب النسوية- أن العلاقات الغير متكافئة بين الرجال والنساء تمثل انتهاكاً لقواعد المساواة في حين ينظر إلى العلاقات المتناظرة على أنها تمثل المساواة وحرية الاختيار. ولقد ساعدت النسوية في تطبيق المعايير والإجراءات لضمان العدالة والإنصاف العاطفي والتناظر مؤسساتيا وعاطفياً، وتضرب إيلوز مثالاً على العلاقات العاطفية في مكان العمل أو المجال التعليمي، وترى أن تلك العلاقات إذا كانت بين الرئيس والمرؤوس تكون غير متوازنة لأن هناك طرف يتمتع بسلطة رسمية على الطرف الآخر، وبسبب هذا الخلل في توازن السلطة فإن تلك العلاقات تنطوي على إمكانية للاستغلال، وهذا ما لا تقبله الأيدولوجية النسوية. وعليه رأت إيلوز في علاقات السلطة المتناظرة تعوق طريق الرغبة الرومانسية والإثارة الجنسية (إيلوز، 2020: 303-305). ولأن الأنوثة ولزمن طويل عرفت من خلال عروض

التبعية؛ فأصبحت الفروق في السلطة هي في صميم رغبات النساء والرجال وإثارتهم الجنسية، وأن التصورات النسوية تستبعد التخيلات العاطفية والمتعة التي تقوم عليها العلاقات الرومانسية الجندرية التقليدية.

دعت الحركات النسوية إلى مبادئ التكافؤ الجديدة، حتى في إطار الروابط الرومانسية والأسرية؛ بحيث يمكن إدخال شكل من أشكال المقاييس التي تقيم المساهمات والمشاعر بل ومقارنتها. ولكن ترى إيلوز أن التكافؤ في عالم العواطف يبقى بعيد وغير ملموس، فالعواطف تبدو أقل قابلية بكثير للتحديد الكمي. ولكن النسوية طرحت أفكار التكافؤ بين الرجال والنساء في كل شئ حتى على مستوى العواطف؛ مثل تكافؤ التعبير العاطفي، والاستثمار العاطفي، ومستوى التضحيات، ومن يستثمر المزيد من الطاقة للحفاظ على العلاقة على قيد الحياة، ما إذا كانت الاحتياجات العاطفية لكلا الطرفين معبر عنها بشكل كاف ومتحققة. وتتطلب مبادئ التكافؤ أن نقارن الكميات وأن نرتبها ونعطيها الأولوية، وبالتالي تمكين عملية تقييم العواطف. وترى إيلوز أن في التناظر العاطفي عند النساء قد يؤدي إلى التعاسة العاطفية، وهو وما أكدته في سابقاً حول العلاقات النقية تلك العلاقات التعاقدية التي يدخلها الافراد ويخرجون منها بفعل الإرادة الذاتية (إيلوز، 2020: 310-312).

أ- **الحب الخيالي وخيبات الأمل:**

ذهب جان بول سارتر- حسب إيلوز- إلى أن الخيال غالباً ما ينظر إليه كملكة أقوى من التصور العادي، ولكن هو في الحقيقة صدى شاحب للحواس. فالخيال هو القدرة على استبدال التجربة الواقعية بالشعور بالأحاسيس القريبة من الحياة الواقعية، فالخيال لا يلغي الواقع، ولكن على العكس من ذلك يحاول تقليده من خلال الاعتماد على الأحاسيس والمشاعر والعواطف التي تجعل الحاضر غائباً. أشارت إيلوز إلى أن الحب في زمن الحداثة قد يتسبب بالمعاناة لدى الأفراد المعاصرين؛ لأنه في كثير من الأحيان ينشأ من الخيال. إذ أن الخيال بارز بشكل خال في عالم الحب، فالاستدعاء الخيالي للحبيب يكون بنفس قوة وجوده، إلى درجة أنه عندما يعيش الحب شخص ما يبتكر إلى حد كبير مواضيع رغباته (إيلوز، 2020: 353).

تحدد إيلوز ثلاثة مصادر تتشابك مع بعضها البعض في إنشاء آليات معرفية قوية تعمل على تفعيل هذا النوع من حب اليقظة المكبوت هي، **المصدر الأول:السلع** من خلال الإعلانات والعلامات التجارية وغيرها من وسائل الإعلام، ففي ثقافة المستهلك يصبح من الصعب فصل الخيال عن سلعة ما، على سبيل المثال (سيارة فارهة) تكون الاوهام التي يرتبط بها الموضوع، ومثال (ممارسة الجنس مع امرأة جميلة)، حيث يتم تجميع الاوهام المادية والعاطفية، مع تنشيط كل منهما وتعزيز الآخر. **المصدر الثاني: القصص والصور** من خلال الوسائط المطبوعة والمرئية التي تقدم صوراً لأشخاص يظهرون بها بشكل جميل ويكافحون في كثير من الاحيان بنجاح لتحقيق السعادة العاطفية. **المصدر الثالث: الانترنت**، حيث أصبح موقعاً لتعبئة الخيال وتمكين الإسقاط المتخيل للذات من خلال مجموعة متنوعة من المواقع، والمحاكاة الخيالية للتجارب العاطفية. وهذه المصادر تساهم بشكل مختلف في وضع الفرد في صورة افتراضية وهمية، حيث يدرك بشكل

متزايد رغباته أو عواطفه من خلال تلك المصادر، التي لها دورها في التأثير على بنية الرغبة، وعليه يصبح الخيال وسيلة لتجربة المتعة والعواطف من خلال سوق المستهلك والثقافة الجماهيرية (إيلوز، 2020: 265-367).

ولقد قدمت إيلوز تعريفاً اجتماعياً للخيال باعتباره ممارسة ثقافية منظمة ومؤسساتية، فأولاً لديه تنظيم اجتماعي مثل تنشيط خيال الرجال والنساء بطرق مختلفة. ثانياً: يتم إضفاء الطابع المؤسساتي عليه بحيث يتم تحفيزه وتدعيمه من خلال أنواع وتقنيات ثقافية محددة في أشكال مطبوعة ومرئية متعلقة مثلاً بالحب والجنس. ثالثاً: أنه ممنهج في محتواه الثقافي وله شكل معرفي واضح يدور حول صيغ سردية جيدة وكليشيهات بصرية. رابعاً: له أثار اجتماعية مثل الاغتراب عن الشريك أو تجربة الحياة اليومية المملة وأخيراً: له ممارساته العاطفية وهي تلك العواطف التي ترتبط بالحياة الواقعية بطرق محددة. **وبالتالي فالخيال العاطفي عند إيلوز هو ممارسة اجتماعية وثقافية تشكل جزءاً مهماً مما نسميه النزعة الفردانية المبنية على الرغبة والإرادة، وهو يشكل الحياة العاطفية للأفراد، ويؤثر على تصوراتهم للحياة اليومية (** إيلوز، 2020: 367).

أشارت إيلوز إلى **ارتباط الخيال العاطفي بخيبة الأمل**، وترى أنه عندما نكون في حالة حب يقوم الدماغ بإطلاق مواد كيميائية مختلفة نتنج النشوة والميل إلى تخيل عالم آخر، ولأن هذه المواد لا تبقى بالجسد مدة طويلة، فإن الخيال العاطفي والغبطة سرعان ما يتحولان إلى تعلق هادئ، أو تجربة ما يلحقها خيبة الأمل. والحب حسب ما ترى إيلوز لابد له من أن يتكيف مع وجود شخص آخر في الأطر المؤسساتية الروتينية، فتتحول شدة الحب إلى الاستمرارية النمطية، من الجدة إلى الألفة، مما يجعل خيبة الأمل متأصلة وجودياً في تجربة الحب (إيلوز ، 2020: 377). ولفهم طبيعة خيبة الأمل، أرادت إيلوز التمييز بين خيبة الأمل كحدث لمرة واحدة- أي لقاء شخص لا يرقى إلى مستوى توقعاتنا-، وبين خيبة الأمل كعاطفة غامضة – أي تمتد إلى فترة زمنية طويلة-. ويختلف هذان الشكلان من خيبة الأمل لأنهما ينطويان على أساليب إدراكية مختلفة، فالأول يتعلق بتكوين صورة ذهنية واحدة عادة عن الشخص قبل اللقاء، بينما الآخر ينشأ من المقاربة الضمنية لحياة الفرد اليومية مع جوهر التوقعات السردية العامة الغامضة حول كيف ينبغي أن تكون عليه حياة الفرد (إيلوز، 2020: 381).

تتشكل **خيبات الأمل** في العلاقات العاطفية في سياقات منها ما يتعلق بالمنغصات الصغيرة في الحياة المعاصرة، فترى إيلوز أن الحياة اليومية المشتركة التي يعيشها الأزواج تنتج ما يعرف بالتهيجات، وهذه الأخيرة تتعلق إما بشخصية الشريك، أو تتعلق بطرق فعل الشريك للأشياء، وهذه التهيجات هي إيماءات صغيرة نسبياً أو غير مهمة، ولكنها تعكس طريقة جديدة للتغلب على العلاقات وتنظيمها، والأسباب التي تجعل الحياة اليومية الحديثة بالنسبة للزوجين للزوجين أرضاً خصبة للقلق والتوتر تتأتي من الطرق التي يتم بها تنظيم الاسرة من خلال ما أسمته إيلوز " التقارب المؤسساتي ". إذ يضفي الشركاء الذين يعيشون معاً طابعاً مؤسساتياً على علاقتهما العاطفية من خلال القرب والألفة وفق طرق منها: الإخبار عن أسرارهم الخاصة، وتقاسمهما لغرفة النوم والسرير واستخدام مجال ترفيه مشترك بينهما. وعلى الرغم من أن

هذه الألفة والتقارب هي الاهداف الرئيسية للزواج إلا أنها مع استمرارها لفترات طويلة تصبح في الواقع مواتية لمزيد من القلق والتوتر مما ينتج عنه خيبة أمل (إيلوز، 2020: 386-389).

فهذا الطابع المؤسساتي على العلاقة الحميمية، وعقلنة الحياة اليومية، هذا غالباً يفضي إلى الشعور بالملل وخيبة الأمل بحياة كلاً من الشريكين، لأنها تتم بشكل مستمر، بل ويتم مقارنتها بشكل متواصل مع مثل مختلفة من الإثارة العاطفية والتعبير العاطفي، مما يجعل الناس يقيمون أنفسهم وحياتهم بشكل سلبي. وفي الواقع تعد الصور الإعلامية على مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها مصدراً للتعبير عن خيبة الامل، قد تؤدي النماذج السائدة عن الحب إلى ترسيخ الأفكار القائلة بأن الآخرين يحققون السعادة في الحب، في حين نحن لا نحققه، وأن تحقيق الحب مهم بشكل أساسي لحياة ناجحة، مما قد يغذي عدم الرضا هذا إلى الإحباط المزمن وخيبة الأمل وبالتالي تلحقهم التعاسة في الحب (إيلوز، 2020: 385).

وقد أكدت عدة دراسات أن للمصادر الإعلامية دوراً بالفعل في صنع التصورات لدى الأفراد قبل العلاقة، كدراسة السيسي 2022 بالمجتمع المصري، أما دراسة Demissew2021 ، Darolia and Rathee 2021، ودراسة النجداوي 2018 ، فقد أثبتت أن للتوقعات التي تسبق مرحلة الزواج تأثير بالفعل على رضا الشركاء عن علاقتهما، سواء بشكل سلبي أو إيجابي.

سعت إيفا إيلوز من خلال مؤلفها تبيان أسباب التعاسة في الحب في زمن الحداثة – المتأخرة–، والتي تختلف عن آلام الحب قديماً، والتي خلصت فيها إلى أن المعاناة قديماً كانت نتاج عقبات مجتمعية وطبقية، وقيود ثقافية، واقتصادية. في حين أن المجتمع المعاصر وخاصة في البلدان الغربية تجاوز كل هذه القيود تقريباً، إلا أنه رغم ذلك لم تسلم العلاقات العاطفية من مظاهر المعاناة بسبب ما حدث من تحولات عميقة في الذات الحديثة من حيث إدارتها ورغبتها وتصوراتها. خاصة في ظل تنامي مرحلة العلمنة، والفردانية والعقلنة والحرية، وانتشار ما أسماه أنتوني جيدنز "العلاقات النقية"، والتي تقوم على التعاقد الحر، وهو ما جعل المجال العاطفي أكثر تقلباً وجعل النفس أكثر هشاشة. وعليه كشفت إيلوز عن مظاهر التغير البنيوية العميقة بين النظام والتقاليد والحالة المعاصرة، التي تتسم بتراخي المعايير الاجتماعية وتأثير الوسائط التقنية وانتشار ثقافة الاستهلاك والإغراء، التي أتاحت للأفراد وفرة الاختيارات وانفتاح الإمكانيات، وهذا فرض على كلاً من الرجل والمرأة اكتشاف ذواتهم بشكل اعمق وميولهم وأبعادهم الإنسانية – وهذا ما أشارت إليه إيلوز بنظام الأصالة–، بحيث يكون كل فرد كيان منفصل عن الآخرين، يبذل جهوداً مضاعفة في الفحص والاختيار والتقييم، و هذا ما يخلق الارتباك المؤدي للمعاناة ويكون ناتجاً من التناقض بين الواقعية والتخيلات. ومما يفاقم من خيبة الأمل المؤدية إلى التعاسة في الحب؛ تسييس المجال الخاص وعقلنة العواطف، الذي ساهمت فيه الشركات الاقتصادية ومؤسسات الدعاية، والأدوات التقنية وغيرها.

ثالثاً: الحاجة إلى الحب وأثره على الإنسان والمجتمع

أبحر إريك فروم في كتابه " فن الحب" من فكرة فلسفية متعلقة بمشكلة الوجود الإنساني، ويرى أنه منذ بدء الخلق وخروج آدم من الجنة؛ بات الإنسان يعاني من حالة الإنفصال والتي نتج عنها إحساسه بالعزلة، والاغتراب، والوحدة. ومن هنا أخذ الإنسان يصارع في كل اتجاه للقضاء على تلك المشاعر المؤلمة، ويرى فروم إلى أن السبيل الوحيد للتغلب على تلك الحالة من الإنفصال والوحدة هو **الحب** بل يكاد يكون الحل الوحيد لها.سعى فروم إلى تقديم مفهوم الحب بشكل شمولي فالحب في نظره لا يقتصر على العلاقة بين إثنين، بل أنه يتسع ليشمل أشكال متعددة كحب الوالدين، والحب الأخوي، والحب الشبقي، وحب الذات، وحى حب الإله. والحب عند إريك فروم طاقة إيجابية يعمل الإنسان ويطور من ذاته من أجل نفسه ومن أجل الآخرين ومن يحبهم، حتى يستطيع التغلب على مشاعر الاغتراب والوحدة بالإتحاد والإنسجام والتضامن مع الغير، وبالتالي فالحب مسألة وجودية (فروم، 2000: 20-26).

فالحب عاطفة إيجابية قوية تشمل المشاعر ورغبة الفرد في أن يتعايش معها ويمارسها مع الآخرين، والأمر ليس مقتصر على الشريك عاطفي، فالإنسان يعيش الحب منذ الطفولة في حب الوالدين، أو الحب الأخوي، أو حب الذات نفسها. وبدون تلك المشاعر أي بدون الحب تتوقف قدرات الأفراد البشرية عن النمو والأرتقاء (Rajs, S & Wulandari, 2023: 139). ويزيد إشباع الحاجة إلى الحب من فرصة انتماء الأفراد لمجتمعاتهم، بينما إحباط تلك الحاجة إنما يزيد من اغتراب الأفراد عن ذواتهم وعن مجتمعاتهم بما تحمله من أطر ثقافية متعددة ومنتوعة وهذا أكد عليه دراسةJack, B. &Jacklen ,T.2001 ودراسة مبارك 2008.

وعن **الدور التأسيسي للحب** في تكوين الذات الإنسانية وتعريفها، لماذا تحتاج الذات الإنسانية للحب؟ ولماذا يحتاج الإنسان كذلك للانخراط فالحب ولتكوين ذاته وشخصيته؟ تجيب إيفا إيلوز عن هذا التساؤل في إحدى لقاءتها الصحفية وتقول:" تعيش الكائنات المعاصرة حياتها في ظل شعورها بتفردها. تفردٌ تعمل عليه بصبر على المستويين العقلي والجسدي، مع تشكيل الجسد المصاحب لثقافة الإستهلاك. لكن هذا التفرد غالباً ما يحتاج إلى شهود؛ فالآخر المحب أو الطرف الآخر في العلاقة هو من سيشهد على تفردنا، سيعترف به وسيعمل بمعنى ما كحلقة وصل بيننا وبين المجتمع (سيؤكد قيمتنا) وسيضفي معنى على علاقتنا بالعالم. وهكذا يؤدي الطرف الآخر في علاقة الحب وظيفة اجتماعية محورية. فهو يجعل من الفردية شكلاً اجتماعية مزدوجاً". وتضيف إيلوز سبباً آخر لحاجة الإنسان للحب وهي **الاعتراف الاجتماعي**. فتقول " الإعتراف ليس أمراً مفروغاً منه أو أنه ليس مدرجاً في القانون، بل يجب التفاوض عليه واستحقاقه وكسبه. في الحب يسعى الإنسان للإعتراف، وأنالطرف الآخر في العلاقة هو من سيوفر هذا الاعتراف بوفرة (Illous, 2016). في الوقت نفسه لا ينتهي الصراع من أجل الاعتراف عند نقطة معينة بل يطول أمده فالإنسان دوماً يحتاج للاعتراف الذي يشمل الحب، والاحترام، والتقدير.

ولما كان أي مجتمع يسعى لتحقيق التنمية المستدامة، والتي تتطلب بدورها وجود إرادة إنسانية بالمقام الأول، وكذلك استعداد تام لدى الأفراد والمجتمعات لتحقيقها، فالتنمية المستدامة عملية مجتمعية يجب أن تساهم فيها كل الفئات والقطاعات. وجب هنا التركيز على محور تلك العملية وهو الإنسان والتركيز على أحد أهم الركائز التي تساعد في توجيه نشاطه وتفاعله في المجتمع وهو الحب، فالحب قوة تحويلية حقيقية تتجاوز مجرد صحتنا العقلية والجسدية. فهو قادر على تشكيل حياتنا ودفعنا نحو النمو الشخصي والسعي وراء أحلامنا. عندما ننفتح على الحب، نكون أكثر قدرة على مواجهة الحياة وصعوباتها، ومواجهة مخاوفننا، يمنحنا الحب الشجاعة للمخاطرة، وتجاوز مناطق الراحة، والإيمان بأنفسننا. فالحب يشعل فينا شغفاً بالحياة يدفعنا في رحلتنا لاكتشاف الذات وتحقيقها وإنتاج النسخة الأفضل منا. وبالتالي يكون الافراد أكثر استجابة لأي مخططات وأي استراتيجيات لتنمية مجتمعهم. وعليه كان من الضروري الوقوف على أسباب معاناة الإنسان في الحب في مجتمعتنا المعاصرة، لتسليط الضوء عليها وطرحها للدراسة والتحليل سعياً لمعالجتها. لذا، فلا يجب الخجل من تأثير الحب العميق، بل يجب أن نحافظ عليه ونحتضنه بكل قوة لأنه قادر على إطلاق العنان لإمكانياتنا الحقيقية وتنمية قدراتنا، كما أنه الوسيلة الوحيدة لجعل ذواتنا الحقيقية متوازنة وسوية.

Abstract

The Social Dimensions of Unhappiness in Love in Eva Illouz: An Analytical Reading

By Nisreen Kamal

This paper sheds light on one of the new fields of sociology, the sociology of love. It presents an analytical reading of Eva Illouz's vision, which sought to study contemporary love to reveal the causes of unhappiness in love, which differ from unhappiness in love in the past. Adopting a comparative approach in her analyses of love before and after modernity, Illouz concluded that suffering in romantic relationships in the past was the result of various societal obstacles. In contemporary societies, unhappiness in love is a result of profound transformations in the modern self, which has made the emotional sphere of individuals more volatile and more fragile, thus depriving us of happiness in love. Since the human being is the focus of every development process in any society, as he is both the goal and the means of that process, it was imperative to focus on one of the most important moral pillars that helps humans discover themselves. Love possesses a power capable of unleashing the various true potentials of the human being, and then directing those capabilities toward achieving the goals of sustainable human development. Therefore, it was necessary to address the causes of human suffering in love, shed light on them, and seek to address them.

المراجع العربية:

إيلوز، إيفا. (2020). " لماذا يجرح الحب: تجربة الحب في زمن الحداثة"، ترجمة خالد حافظي، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

البدري، هناء بنت حسن. (2022) " ظاهرة الطلاق: دراسة في الأسباب والنتائج"، مجلة العميد، مجلد 11، عدد 43، 125- 158.

الترك، عبير ماجد. (2014). " العلاقاة بين الحرمان الزوجي العاطفي عند المرأة ومدى رغبتها في البحث عن علاقات عاطفية بديلة خارج إطار الزوجية في الضفة الغربية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.

السالم، مرام بنت سعد. (2023). " أنماط الحب المعاصرة في العلاقاة الزوجية من منظور بعض علماء علم اجتماع العواطف: دراسة نظرية"، مجلة مستقبل العلوم الاجتماعية، مجلد 13، عدد 1، 105- 133.

السيسي، ياسمين. (2022). " دور المسلسلات التركية والهندية المدبلجة في تشكيل صورة شريك الحياة لدى الشباب المصري، مجلة كلية الآداب، مجلد 4، 3-29.

كعانبة، هدى محمد. (2022). " سمات الشخصية وأساليب الحب وعلاقتها بالالتزام الزواجي" ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

النجداوي، موسى. (2018). " الطلاق العاطفي في المجتمع الأردني"، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد 4، عدد 45، 43- 58.

نجف، أفراح أحمد. (2021). " معنى الحب وعلاقته بجودة الحياة لدى الأزواج"، مجلة العلوم التربوية والنفسية، العدد 143، 208-233.

فرح، عبد الله. (2019)." الحب الافتراضي: مقاربة سوسيولوجية" ، مركز نهوض للدراسات والنشر.

مبارك، بشرى عناد . (2008). " الاغتراب الاجتماعيوعلاقته بالحاجة إلى الحب لدى شرائح اجتماعية مختلفة من العراقيين المقيمين في بعض الدول العربية، مجلة كلية الآداب، العدد 85، جامعة ديالي.

فروم، إريك . (2000). " فن الحب: بحث في طبيعة الحب وأشكاله"، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة، بيروت.

References:

Rinaldi, Sergio. (1998). " Love dynamics: the case of linear couples, Applied Mathematics and computation, No. 95, p.p 181-192.

Sternberg, Robert. (1997). " Construct Validation of a triangular love scale", European Journal of Social Psychology, vol. 27, 313-335.

Demissew, S. (2021). " Impact of Premarital Expectation on Marriage Satisfaction among Members of Zetseat Apostolic Reformation Church, Addis Ababa University", Unpublished master Thesis.

Darolia, C &Rathee, A. (2021). " Exploring the Role of Partner Expectations and Personality on Marital Satisfaction. Indian Journal of Health and Wellbeing, 12(3), 252-255.

Rajs, S, & Wulandari, R. S (2023). " Sternberg's Triangular love theory Within Romeo and Juliet. SALIENCE: English language, literature, and Education, 3, (1).

Montana, Nicola.(2023). "For A new Sociology of Social Love", The American Sociologist 54:338-348, https://doi/10.1007/S12108-023-09572-5

Rusu, Mihais. (2018). " Theorising love in sociological thought: classical contributions to a sociology of love", journal of classical Sociology, Doi: 10 – 1177/ 1468795x 17700645.

Sjoberg G .(1960). The preindustrial city: past and present, Glencoe, IL : the free press.

IIIouz, Eva .(2016). " The organized freedom of love: An Interview with Eva Illoz", Corresponding, Barabra Carnevali, EHESS, 96 bd Ras pail, Paris, 75006, France.

Jack, B .& Jacklen, T .(2001). Affiliation Needs And Alienation behavior, Ho It,I.N.C.